د. دانيال عيّوش
معهد القدّيس يوحنّا الدمشقيّ اللاهوتيّ
جامعة البلمند

المؤتمر الكتابيّ الثامن
الرابطة الكتابيّة للشرق الأوسط
٢٦—٣١ كانون الثاني ٢٠٠٣

# الآباء في سفر التكوين وعطية الحكمة الإلهيّة

نشيد حكمة سليمان وقراءته لسرد التكوين (حك ١٠: ١-١٤)

## مقدّمة

نحن في الإسكندرية، العاصمة الثقافيّة للحضارة الهلينستيّة، في أواسط القرن الأوّل ق.م. أمام كتاب يهدف إلى استرجاع التعاليم والقيم الخاصّة بالجماعة اليهوديّة التي ينتمي إليها مؤلفه.[١] ولهذا الصدد يلجأ واضع سفر الحكمة، الذي لم يذكر اسمه في الكتاب، إلى تقليد أدبيّ قديم معروف في اليهوديّة يعود إلى أيّام الملك سليمان، وهو تقليد مشترك في كلّ حضارات الشرق الأوسط القديم، أعني الأدب الحكميّ.

يرى كاتب سفر الحكمة في هذا التقليد الأدبيّ سبيلاً مفتوحًا إلى الحوار مع الثقافة الهلينستيّة، ووسيلة لإيضاح إيمان شعبه وقيمه الأخلاقيّة[٢]. وهكذا نقرأ في وسط الكتاب تصريحًا أساسيًّا ، يعرض فيه المؤلّف بوضوح الفرضيّة التي دفعته إلى الكتابة، فيقول: "تقدر (الحكمة) على كلّ شيء وهي وحدها، وتجدّد كلّ شيء وهي ثابتة في ذاتها، وعلى مرّ كلّ الأجيال تحتاز إلى نفوس قدّيسة وتنشئ أصدقاء لله وأنبياء" (حك ٧: ٢٧).

بكلام آخر: يعتبر الكاتب أنّ الحكمة الحقيقيّة هي تلك التي تحفظ النظام الكونيّ وتلهم كلّ البشر في أفكارهم وأعمالهم، وهي التي تقود إلى الإله الحقّ، خالق العالم. يرى الكاتب أنّ هذه **الحكمة المدبّرة** وهذا **الإله الخالق** حاضران في التقليد الدينيّ الذي لشعبه وخصوصًا في أسفار الشريعة. يكشف سفر الحكمة في إصحاحاته التسعة عشر أسرار التقليد الدينيّ اليهوديّ بحذر وتعقل، ويترك أمام القارئ المجال مفتوحًا لتفسير الصور المرسومة في صفحات الكتاب. وفي شكله الأخير يوجّه سفر الحكمة دعوة إلى

---

[١] في ما يتعلّق بالمواقف المختلفة حول تاريخ الكتابة والمؤلّف راجع:
DORÉ, D., **Sagesse**, 9-10; SCHROER, S., **Weisheit**, 281-283; ADDISSON, G. / WRIGHT, S., **Wisdom**, 510; HARRISON, R.K., **Introduction**, 1223-24.1227.

[٢] طرزي، بولس، **المزامير**، ٢٢٤-٢٢٨.

يهود الشتات أوّلاً، ثمّ إلى كلّ البشر، لكي ينضمّوا إلى شعب الله معترفين بالحكمة الحقيقيّة ومطبّقين إياها في كلّ لحظة من لحظات حياتهم. لهذا يقول في خاتمته: "فإنّك يا ربّ في كلّ شيء عظّمت شعبك، ومجّدته ولم تأنف أن تساعده في كلّ زمان ومكان" (حك ١٩: ٢٢). لا تشير عبارة **شعب الله** الواردة هنا إلى اليهوديّة المتوارثة، بل إلى ديانة مفتوحة ينضمّ إليها كلّ إنسان يسمع حكمة الله ويعمل بها[٣].

في هذا الحوار مع الديانات والثقافات الأخرى لا يقتصر سفر الحكمة على إظهار احترامًا لقيم المخاطبين فحسب، ولكنّه يظلّ راسخًا في تقاليده ويقدّمها على نحو مرتّب ومفهوم. يعتبر الكاتب أنّ سفري التكوين والخروج يحملان أسس التقاليد الدينيّة اليهوديّة ويستلهمهما ليقدّم صورة جديدة عن إيمانه. ندرس في هذه المقالة قراءة سفر الحكمة لكتاب التكوين والوظيفة التي لهذا الكتاب في سفر الحكمة. لهذا نعرض الاستشهادات المباشرة وغير المباشرة العائدة إلى السفر الموسويّ الأوّل في حك ١٠: ١ —١٤ حيث يلعب كتاب التكوين دوره الأساسيّ.

## نشيد السيدة حكمة المدبّرة للخلاص[٤]

يقع هذا النشيد الذي يصف مشاركة الحكمة في العمل الخلاصيّ (١٠: ١-٢١) في وسط الكتاب، وهو يشكّل نصًّا انتقاليًّا بين مديح الحكمة في ٦: ٢٢ — ٩: ١٨ والقسم الثالث من الكتاب الذي يستذكر ملحمة الخروج (١١: ١ — ١٩: ٢٢). والحقيقة أنّ هذا النشيد يسهب في الشرح بالأمثلة لخاتمة صلاة سليمان التي تقول في ٩: ١٨ب: "وتعلّم الناس ما يرضيك، وبالحكمة نالوا الخلاص"، ويقدّم النشيد، في مثله الأخير (الآيات ١٥—٢١) إعادة قراءة للخروج مبنية على أسس المدرسة الحكميّة. في هذه المقالة تحليل للقسم الأوّل والأطول من النشيد (الآيات ١—١٤) لكونه يحتوي على سلسلة من الأمثلة المستوحاة من سفر التكوين، الموضوع الرئيسيّ لهذا المؤتمر. من الجدير ذكره أنّ سفر الحكمة يعود دائمًا إلى نصّ السبعينيّة اليونانيّ لكتاب التكوين، وليس إلى النصّ العبريّ. وكما سوف نرى لاحقًا، يستعمل نشيد الحكمة في الإصحاح ١٠ بشكل متكرّر تعابير رئيسيّة ولاهوتية من كلّ رواية من روايات التكوين

[٣] أنظر حك ٦: ١٢-٢١ والمقطع أدناه تحت عنوان "تكوين الإنسان الجديد."

[٤] الترجمات العربية المتوفرة لهذا النشيد لا تأخذ بعين الاعتبار علاقة النشيد بمصطلحات سفر التكوين. لهذا نقدم في ملحق لهذه المقالة ترجمة جديدة من النص السبعينيّ الأصليّ.

مستعينًا بمفردات الترجمة السبعينيّة. نفهم هذا على اعتبار أنّ واضع النشيد يتوجّه إلى اليهود المقيمين في الإسكندرية، وإلى الهلينستيّين الذين يريدون التعرّف إلى اليهوديّة[٥].

في استهلاله بالضمير المنفصل التوكيديّ **هي التي** (*aute* في اليونانيّة) يظهر النشيد ارتباطه الكامل بالمقطع السابق (صلاة الملك سليمان) ويؤكّد على الدور الرئيسيّ للحكمة في النشيد الذي يشير إليها باستعماله المطلق للضمير التوكيديّ **هي**. يتكرّر هذا الضمير المنفصل خمس مرّات أخرى في النشيد، وفي كلّ مرّة تبدأ بها مرحلة جديدة في علاقة الحكمة بالناس (أنظر ١٠: ٥. ٦. ١٠. ١٣. ١٥).

بأمانة لهدف الحوار مع الثقافة الهلينستيّة، يشير هذا النشيد إلى الشخصيات الأبرز في سفر التكوين **دون ذكر أسمائهم**، مكتفيًا بتقديم أهمّ صفاتهم. من يعرف الأسفار المقدّسة اليهوديّة، وخصوصًا الترجمة السبعينيّة، يستطيع أن يحدد بسرعة هوية هذه الشخصيات. ومن يجهل هذه الأسفار، يجد في النشيد مدخلاً ملائمًا للولوج إليها. هذه الشخصيات الرئيسية هي سبع: آدم (الآيتان ١-٢)، قايين (آ ٣)، نوح (آ ٤)، إبراهيم (آ ٥)، لوط (آ ٦-٩)، يعقوب (آ ١٠-١٢)، ويوسف (آ ١٣-١٤). يطابق ترتيب ذكرهم في النشيد الحبكة الروائيّة التي نجدها في الكتاب الأوّل من كتب الشريعة، وهو يشتمل عليها بدءًا بالإصحاح الأوّل الذي يظهر آدم فيه (تك ١: ٢٦) وانتهاءً بالإصحاح الأخير الذي يختم بموت يوسف ودفنه في مصر (تك ٥٠: ٢٦)، أي المكان نفسه الذي يقيم فيه قرّاء سفر الحكمة.

عند ذكر هذه الشخصيات تظهر الحكمة كالفاعل الأوّل في الرواية، إذْ أنها تقوم بمعظم الأفعال. باستثناء قايين، نجد أنّ الحكمة هي التي تحمي الشخصيات الستة الأخرى وتقودها وتفتديها. ليس الرجال هم الذين يأخذون المبادرة في عملهم، بل الحكمة هي التي تريهم ما ينبغي فعله، وتعضدهم في نصرهم وفي هزيمتهم. في تطبيقنا لمنهج التحليل الروائيّ اخترنا الأفعال التي تشكّل حبكة الرواية في حك ١٠: ١-١٤:

| | أفعال الحكمة | | أفعال أعداء الحكمة |
|---|---|---|---|
| لآدم | [١]حَمَته ورفعته [٢]وأعطته قوةً. | | |
| | | قاين | [٣]هلك في حنقه |
| لنوح | [٤]خلّصت الأرض. | | |

[٥] للتعمق أكثر في مسألة هوية قراء سفر الحكمة راجع مقالة Volgger, D., **Adressaten**.

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| لابراهيم | [٥]عرفَته وصانتْه وحفظته. | | | |
| للوط | [٦]افتدَته | | | |
| | | الأرض | [٧]بقيت مقفرة | |
| | | الحُمْقاء | [٨]تركوا ذكرًا للحماقة | |
| للخدّام | [٩]افتدَتهم | | | |
| ليعقوب | [١٠]هدَته وأرَته ملكوت الله وآته معرفة وأنجحته وأثمرت أتعابه. [١١]وقفَت إلى جانبه فأغنتْه [١٢]وحمَتْه وأيقنت به وحكمت له. | | | |
| ليوسف | [١٣]لم تتركه بل افتدتْه [١٤]ونزلت معه ولم تفارقه فكذّبت شهود الزور، وآتتْه مجدًا أبديًا. | | | |

بناءً على هذا الجدول النحويّ والدلاليّ نلاحظ، من جهة، أنّ الإنسان ينجح إذا عمل مقودًا من الحكمة الإلهيّة، وأنّه يهلك إذا عمل بدافع من نفسه وابتعد عن الله. هذا مفهوم أساسيّ في النشيد والسفر بكامله.

من جهة أخرى، نلاحظ الديناميّة المفعمة التي يتمتّع النشيد بها. فمعظم عباراته أفعال، وهو ينتقل بسرعة فائقة من عصر إلى آخر بعد أن يكون قد عرض قراءته للأحداث، أي، بعد أن يكون أشار إلى أنّ الحكمة هي الأداة التي منح الله بواسطتها خلاصه للناس.

تقوم الحكمة في القسم الأوّل من النشيد بمجموعة كبيرة من الأفعال (٢٥ فعل) تبرز أهم ميزات وظيفتها. أمّا في ما يتعلّق بموقعها، فالحكمة تنتمي إلى عالم أعلى، ولهذا فهي ترفع آدم من سقطته (آ ١)، وتنزل مع يوسف إلى الجبّ (آ ١٤). من جهة أخرى، تظهر الحكمة للناس سيّدةً صالحةً تقف مع رعاياها فَتَحْميهم وتحفظهم (آ ١. ٥. ١٢)؛ وتهديهم (آ ١٠أ) وتعينهم (آ ١١. ١٣. ١٤)، وتغنيهم (آ ١١ والآية ١٠ج). وفي النهاية تُتمّ الحكمة أعمالاً إلهيّة فتعطي الهبات السماويّة (آ ٢. ١٠. ١٤)، وتفدي (آ ٦. ٩. ١٣) وتخلّص (آ ٤). هذا الجانب الثالث الإلهيّ هو الأبرز وهو الذي يفسّر الجانبين الآخرين، المرتبط أحدهما بالسيادة وثانيهما بالعالم الأعلى. من الجدير ذكره هنا أنّ شخصية الحكمة في حكمة سليمان تتمتّع بصفات

إلهيّة من غير أن تصبح هي نفسها إلهًا. فالحكمة تجلس مع الله إلى جانب عرشه (٩: ٤)، وهي كانت حاضرة عندما خلق الله العالم (٩: ٩)، ولكنّها من جهة أخرى خليقة لها بداية (٧: ٢٢)، وهي انعكاس للنور الأزليّ (٧: ٢٦) ونفحة من قوّة الله (٧: ٢٥). والحكمة في هذا الكتاب تصوّر كأنثى حتّى أنّ سليمان قال فيها: "هي التي أحببتُها والتسمتها منذ حداثتي وسعيت لأن أتخذها لي عروسًا، وصرت لجمالها عاشقًا" (حك ٨: ٢؛ رج أيضًا ٨: ٩. ١٠. ١٦). تلك هي الصورة المجازية (allegory) للحكمة المشخصنة التي تظهر في الكتب الحكمية القانونيّة سيّدةً يشتهيها تلاميذ الحكماء لأنّها تعرف أسرار العرش الإلهيّ (رج أم ٩: ١-٦؛ ٣١: ١٠—٣١؛ سير ١٤: ٢٠—٢٧). تلك هي الصورة التي تبرز الشخصيّة المركزيّة في نشيدنا، والتي، كما نرى، ليست غريبة عن التقاليد الحكميّة الكتابيّة[٦].

**آباء التكوين السبعة**

نقرأ في النشيد أيضًا عن الرجال الذين تتعامل معهم الحكمة. يحمل كلّ هؤلاء صفة البارّ (*dikaios* في اليونانيّة) ما خلا آدم وقايين: نوح في آ ٤، وإبراهيم في آ ٥، ولوط في آ ٦، ويعقوب في آ ١٠، وابنه يوسف في آ ١٣. إنّ هذه العبارة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالشريعة الموسويّة وخصوصًا بالذين يحفظونها[٧]. رغم أنّ العبارة لا ترد إلاّ قليلاً في سفر التكوين[٨] تجدر الإشارة إلى أنّ نوحًا هو الذي تطلق عليه صفة البارّ في تك ٦: ٩، وهو نفسه الذي يبدأ سلسلة الأبرار في نشيد الحكمة ١٠. بإطلاقه صفة البارّ على الذين سمعوا صوت الحكمة، يقيم النشيد رابطًا ما بين الشريعة وكتابه الحكميّ بحيث يصبح كلّ الذين ينتهجون سبل الحكمة أيضًا أبرارًا، أي أنّهم يعيشون وفق الناموس.

إلى جانب هذه الصفة التي يشترك فيها خمسة من آباء سفر التكوين السبعة المذكورين هنا، ينبغي بنا أن نشير إلى صفات كلّ منهم. يظهر **آدم** في آ ١-٢، وهو أوّل من خُلق من الناس. بدل لقب البارّ الذي يناقض ذكر السقوط في الخطيئة في آ ١ب، يطلق عليه النشيد لقب أب العالم، وبتناغم تامّ مع سفر

---

[٦] حول الصورة المجازية (allegory) للحكمة المشخصنة أنظر: طرزي، بولس، **المزامير**، ١٨٧-١٨٨؛ MURPHY, R.E., **Personification**, 222-233; WILCKENS / FOHRER, art.: *sophia ktl.*, 507-509.

[٧] في تث ٤: ٨ توصَف شريعة موسى بالعادلة، وفي تث ٣٢: ٤ الله نفسه هو بارّ، وفي تث ١٦: ٢٠ كلّ شعب الله مدعو إلى ممارسة البرّ. إنّ مجرّد ذكر خمسة أبرار هو إشارة رمزية إلى البرّ كما تحدّده أسفار الشريعة الخمسة.

[٨] تك ٦: ٩؛ ٧: ١؛ ١٨: ٢٣. ٢٤. ٢٥. ٢٦. ٢٨؛ ٢٠: ٤.

التكوين، يكرّمه لما أعطاه الله من قوّة ليتسلّط على كلّ شيء (آ ٢). تربط العبارة**أوّل من جبل** (*protoplastos* في اليونانيّة) هذا المقطع بالترجمة السبعينيّة لـِ تك ٢: ٧.[٩]

أمّا قايين، ابن آدم، فهو **الشخص الثاني** الذي يظهر في هذه الرواية (آ ٣-٤أ). وهو يلعب دور نقيض البطل. فهو الوحيد الذي يطلق عليه النشيد لقب الظالم أو بالأحرى عديم البرّ – *adikos* في اليونانيّة – في آ ٣أ. ولئن كان نسب التكوين يواصل نسل آدم من خلال ابنه الثالث شيت (رج تك ٥: ٣)، إلاّ أنّ كاتب النشيد قرّر أن يحترم الخطّ الروائيّ في سرد التكوين، الذي يستمرّ، بعد السقوط في تك ٣، بقصّة قايين وهابيل (تك ٤: ١-٢٤). خلافًا للشخصيّات الأخرى المذكورة في هذا النشيد، لا ينال قايين شيئًا من الحكمة. بل بالعكس، يقرّر أن يبتعد عنها، الأمر الذي تسبّب في الطوفان في آ ٤أ. وهكذا يبرز **نوح** بكونه البارّ الجديد الذي تخلّصه الحكمة في آ ٤ب. في خضمّ كارثة كونية تستعمل الحكمة **خشبًا حقيرًا**[١٠] لتنقذ مَن لمع ببرّه. ومن الآن فصاعدًا سوف يعاني كلّ من الأبرار، إمّا بسبب اضطراره إلى العيش في عالم خاطئ، أو لتعرّضه لشكل من أشكال الاضطهاد.

**الشخص الرابع** هو إبراهيم (آ ٥) الذي تربطه بداية آ ٥ بقصّة برج بابل الذي يوصف بعمل الشرّ: "لمّا أجمعت الأمم على عمل الشرّ...". إنّ الفعل اليونانيّ *syncheo* (**بَلالْ** في العبريّة) المستعمل هنا بمعنى **تبلبل** هو نفسه الفعل الذي تستعمله السبعينيّة في سفر التكوين فقط في قصّة بابل في تك ١١: ٧. ٩. فإذا أخذنا في الاعتبار أنّ النشيد يأتي بنا عبرَ إصحاحات سفر التكوين بحركة سريعة، يستحيل ألاّ نجد في بداية آ ٥ إشارة إلى قصّة تفريق اللغات. فها إنّ الحكمة تستلم زمام المبادرة وترى في إبراهيم الرجل البارّ، وتساعده على أن يبقى كذلك. تحملنا آ ٥ج إلى تك ٢٢: ١-١٩ وتذكرنا بإحدى أهمّ الروايات المرتبطة بأب الإيمان، ألا وهي استعداده لتقديم ابنه لله.

---

[٩] لتفسير مفصّل لصورة آدم في هذا النشيد أنظر GILBERT, M., **Relecture**, 330-332.

[١٠] عبارة خشب (*xylon* في اليونانية) في الآية ٤ب مرتبطة بـ تك ٦: ١٤ في نصّ السبعينية حيث يقول الله لنوح "إصنع لك فلكًا من خشب" دون تحديد نوعه. تُستعمل العبارة نفسها في نصّ التكوين في السبعينية وفي رؤيا يوحنا للكلام على شجرة الحياة (راجع تك ٢: ٩ ورؤ ٢٢: ٢. ١٤. ١٩)، وهي تستعمل أيضًا في عدد من كتب العهد الجديد للإشارة إلى صليب المسيح (راجع أع ٥: ٣٠؛ ١٣: ٢٩؛ غل ٣: ١٣؛ ١بط ٢: ٢٤).

يأتي **لوط** في النشيد في المرتبة الخامسة (آ ٦). أمّا وضعه المتأزّم فمرتبط بدمار سادوم وعمورة أو المدن الخمس، كما يسميها النشيد في ٦ب. وتقوم الحكمة مرّة أخرى بعملٍ خلاصيّ بحيث تلهم عمل لوط في تك ١٩: ١-٢٩. إنّ حكمة لوط هي التي حملته على التصرّف بشكل ملائم، وهي التي منحته خلاص الربّ الذي أشفق عليه (تك ١٩: ١٦).

بين لوط والبارّ التالي يرد كلام حول كلّ مَن لا يستجيب لدعوة الحكمة. ينطلق الكاتب من صورة العقاب الذي أنزله الله على المدن الخمس ليرسم مأساة الوضع الكونيّ الممتلئ بالحماقة والغباوة. يستلهم الكاتب شخصيّة لوط ليعطينا صورة عن البار الذي يهرب من أرض يسطع منها الدخان وتلتهمها النار. على هذه الأرض الشجر لا يثمر والمعالم تذكّر البشر بالشرّ. في آ ٨ تصل هذه الصور المأخوذة من رواية التكوين (١٩: ٢٤-٢٩) إلى مأساة كونيّة. لم يعد سكّان سادوم وعموره الجاحدون هم وحدهم أعداء الحكمة، فالنشيد يتحدّث الآن عن الانتشار العالميّ للجهالة والحماقة، اللتين تركتا آثارهما في كلّ حيٍّ ( *to bio* في اليونانيّة). ويعود النشيد في آ ٩ إلى نبرة النصر والظفر فيشير إلى عمل الله الفدائيّ مع خدّام الحكمة. فنجد في صورة لوط وفراره من أرض الخطأة العلامات الأخروية الأولى في النشيد: في عالم مليئ بالمحن يعلن الأبرار رجاءهم في أنّ الله سوف يتمّم فداءه.

في سفر التكوين تبلغ حقبة إبراهيم ذروتها في الإصحاح ٢٥. ومن هنا فصاعدًا تبدأ حقبة يعقوب. يشترك إسحق في الحقبتين ولكنّه يلعب دورًا ثانويًّا، فيما الدوران الرئيسيان هما لإبراهيم ويعقوب. لهذا السبب يأتي ذكر يعقوب في نشيد الحكمة بكونه **الشخص السادس**. فهو البارّ الذي يهرب من غضب أخيه (آ ١٠). هذا يذكّرنا، من جهة، بـــ تك ٢٧: ٤١-٤٥، ومن جهة أخرى، بالصفة الأبرز في شخص يعقوب ألا وهي صفة **الهارب** التي تشكل قالبًا أدبيًّا رئيسيًّا (Leitmotiv) في روايته.[١١] لم يكن على يعقوب أن يواجه شقيقه عيسو فحسب، بل وحميه لابان في تك ٢٩-٣١ أيضًا. يلمح النشيد إلى هذه المواجهة حين يقول: "وعندما طمع مضايقوه، وقفت إلى جانبه فأغنته وحمته من الأعداء، وأيقنت به من الكامنين" (آ ١١-١٢). وأخيرًا يذكر النشيد في آ ١٢ج القتال الذي صارع فيه يعقوب ربّه السماويّ في تك ٣٢: ٢٥-٣٣. من هذا المشهد يخرج النشيد بخلاصة متقنة تتوجّه بشكل مباشر وبوضوح تامّ إلى

[١١] راجع تك ٢٨: ٢٠؛ ٣٢: ٧-٨؛ ٣٥: ١-٣.

قرّاء النشيد: "لكي يعلم أنّ التقوى أقدر من كلّ شيء". ذلك هو أحد المقاصد الأساسيّة لسفر الحكمة بكامله، يبرز هنا كعبرة أخلاقيّة من رواية يعقوب.

في قصّة يعقوب حسب حك ١٠: ١٠-١٢ نجد عبارة **ملكوت الله** (*basileia theou* في اليونانيّة) في الآية ١٠ ب، وهي عبارة جديدة في نصوص العهد القديم. يشير هذا النصّ، دون أدنى شكّ، إلى حلم يعقوب وبناء مذبح بيت إيل (تك ٢٨: ١٠-٢٢). ترد عبارة ملكوت (**مَلْكُوت** في العبريّة؛ *basileia* في اليونانية) في المزامير (مز ١٠٣: ١٩؛ ١٤٥: ١١. ١٣) وفي دا ٣: ٣٣ بمعناها الوظائفيّ وبمعناها المكانيّ، الأوّل في إشارة إلى السيادة الإلهيّة والثاني في إشارةٍ إلى الأراضيّ الواقعة تحت هذه السيادة. مع ذلك، لا يرد هذا المفهوم في سفر التكوين الذي لا ينظر إلى الله باعتباره ملكًا بل باعتباره العليّ (**عِلْيُون** في العبريّة) والقدير (**شدّاي** في العبريّة). إنّ هذا الورود الوحيد لعبارة **ملكوت الله** في نصوص العهد القديم القانونيّة لا يعكس المفاهيم السائدة في اليهوديّة الأولى فحسب، بل يرسم أيضًا صورةً لله جالسًا على العرش الذي منه تفيض الحكمة، وسيّدًا على كلّ الأسياد الذين يتوجّه إليهم سفر الحكمة بكامله (أنظر حك ١: ١).

**الشخص السابع** المذكور في هذا النشيد هو يوسف الذي يطلق عليه أيضًا لقب **البارّ**. تقع حقبة يوسف في الجزء الأخير من سفر التكوين، في الإصحاحات ٣٧-٥٠. يذكر كاتب الحكمة الأحداث الرئيسيّة المرتبطة بهذا البارّ في آ ١٣-١٤: بيعه كعبد (تك ٣٧: ١٢-٣٦)، وامتحان عفّته (تك ٣٩: ٧-٢٠)، وسجنه غير العادل (تك ٣٩: ٢١ – ٤١: ٣٦)، ثم توليته المرتبطة مباشرة بإعلانه كراءٍ وحكيم[١٢] (تك ٤١: ١-٣٦ و٣٧-٤٩)، وبالمجد (*doxa* في اليونانيّة) الذي حظي به في مصر (تك ٤٥: ١٣).[١٣] هكذا يختتم النشيد بعبارة بارزة في الديانة اليهوديّة، وهي عبارة **المجد الأبديّ**. في تك ٤٥: ١٣ تستعمل عبارة المجد بمعنى السلطة والسيادة. أمّا حك ١٠: ١٤ فتعطيها معنى المجد الإلهيّ، أو المجد الأبديّ، لتشكّل على هذا النحو خاتمة مناسبة لهذا الجزء من النشيد المبني على شخصيّات سفر التكوين. هناك ميزة أخرى

---

[١٢] لاحظ الاستعمال المشترك لفعل أظهر أو أعلن (*deiknymi* في اليونانية) أولا في قصة تفسير حلم فرعون في تك ٤١: ٢٥. ٢٨. ٤٩، ثمّ في حك ١٠: ١٤د . هذا يدل على ارتباط الجملة " فكذبت (أو أعلنتهم ككذبة) الذين اتهموه زورًا" بمشهد تفسير الحلم الذي أدي إلى تولية يوسف رئاسة الوزراء، أي إعطاءه المجد.

[١٣] تظهر عبارة المجد (*doxa*) ثلاث مرّات فقط في نصّ التكوين في السبعينية (تك ٣١: ١. ١٦؛ ٤٥: ١٣)، ترد إحداها في مشهد لقاء يوسف مع إخوته. ومن البديهيّ أنّ هذه العبارة تستعمل في النشيد ككلمة رئيسية تربط رواية التكوين بسرد النشيد. هذا أسلوب يلجأ إليه سفر الحكمة على الدوام ليقيم روابط بينه وبين الأسفار المقدسة الأخرى.

لشخصيّة يوسف في النشيد وهي الإطلاق عليه الصفتين فـهـيـم (*phronimos* في اليونانيّة) **وذكيّ** (*synetos* في اليونانيّة) اللتين نجدها أيضًا في مشهد توليته في الترجمة اليونانيّة لتكوين ٤١: ٣٩ . وحده يوسف يجمع هاتين الصفتين في كلّ سفر التكوين.[١٤] يتوقف النشيد في قراءته لرواية يوسف عند مشهد توليته السلطة على المصريّين (تك ٤١) ليبرز هاتين الصفتين ويثبّت هكذا حضور الحكمة الضمنيّ في عمل هذا الشخص المركزي في السرد الروائيّ لسفر التكوين.

**تكوين الإنسان الجديد**

مع يوسف تنتهي إعادة قراءة رواية التكوين التي تغطّي أعمال آبائه السبعة الأبرز. وإذا وضعنا قايين جانبًا، وهو الوحيد الذي ابتعد عن جمال **السيدة حكمة**، يبقى الآباء الستة الذين انتهجوا السبيل المشار إليه من الحكمة، رفيقة العرش السماويّ وأداة العمل الخلاصيّ من أجل الإنسان.

تبدأ الرواية بآدم، أوّل الناس، وتنتهي بيوسف، أوّل وزراء فرعون. من حيث المكان، نلاحظ أنّ الحبكة تبدأ وهي مشتملة على كلّ الأرض، ذلك لأنّها تشير إلى حدث الخلق الكونيّ، و لكنّها تنتهي في أرض مصر وهي وطن الكاتب وقرّائه. ينتهي الجزء الأوّل من النشيد بنموذج شخص في السلطة يتصرّف بمقتضى الحكمة. هذا ما أرادت مقدمّة الكتاب في ١: ١–١٥ وخطبة سليمان في ٦: ١–١١ أن تصلا إليه. ففي المقطعين يتحتّم على الذين في السلطة أن يسمعوا صوت الحكمة. يقدّم يوسف أفضل مثال على هذا التعليم، وهذا دون شكّ أفضل طريقة لاختتام حقبة الآباء.

يعرف القارئ المعتاد على رمزيّة الأرقام في الكتاب المقدّس والمدراش اليهوديّ وخصوصًا الأدب الرؤيويّ في اليهوديّة الأولى، أنّ القصّة التي تحتوي على ست مداخلات ناجحة تحتاج إلى مداخلة سابعة تتوّج القصّة بكاملها وتظهر قيمتها الدائمة والنهائيّة.[١٥] هذا هو دور التعليق على رواية الخروج في حك ١٠: ١٥–٢١ حيث لا يأتي الكلام فقط على علاقة الحكمة بالأفراد، بل بشعب بكامله: "الشعب المقدّس والجنس الذي لا عيب فيه". هؤلاء هم **الأبرار** (آ ٢٠) الذين لا تقوم هويتهم إلاّ على السير على الطريق الذي تحدّده المشيئة الإلهيّة (آ ١٧ب). وتشكّل خاتمة النشيد في آ ٢١ أيضًا إشارة واضحة إلى رجاء

[١٤] الشخصية الأخرى التي تشترك مع يوسف في أول الصفتين هي الحيّة في تك ٣: ١، والتي هي " أفطن الكائنات على الأرض".

[١٥] نذكر، على سبيل المثال، الكنائس السبع والأختام السبعة والأبواق السبعة في سفر رؤيا ٢: ١– ٣: ٢٢؛ ٥: ١؛ ٨: ٢ ، ونسب متى ١: ١–١٧، وأيام الخلق السبعة في تك ١: ١ – ٢: ٤.

اشتراك كلّ الأمم في هذا الخروج الكونيّ الجديد. في هذه الإشارة تتمثّل الأمم بالخُرْس والصغار، أي بالبشر الذين لم يقدروا حتى الآن أن يتكلّموا، إذْ أنهم كانوا يجهلون كلمة الله الحقيقيّة.

إذن، يتحقّق القبول السابع لدعوة الحكمة في شعب بكامله. وفي هذا القبول الأخير أبعاد أخروية تُظهر لنا رجاءَ الخلاص عند يهوديّة القرن الأوّل ق.م. بهذا المعنى يتمتّع سفر الحكمة بخاصيّة في غاية الأهمّيّة: فهو يجعل شريعة موسى مصدرًا لإعلان الحكمة في متناول الأمم لكي يستجيب هؤلاء كلّهم للدعوة إلى الخلاص الذي لا يتجلّى بالضرورة في هذه الحياة. لا ننسينّ أنّ كلّ الأبرار المذكورين في هذا النشيد كانوا رجالاً معرّضين لشتى أنواع المخاطر، وللموت، والظلم. والثواب الذي يعده الكتاب للذين يسمعون الحكمة ليس النجاح الفوريّ، ولكنّه يعد بمعونة الله في كلّ زمان ومكان (حك ١٩: ٢٢)، وبالخلاص بمعنى الحياة بعد الموت (حك ٥: ١٥؛ ٩: ١٨؛ ٤: ٧). كما يوضح النشيد أنّ الالتزام بمشيئة الله ليس من الأمور السهلة، ولكنّه يؤكّد، من جهة أخرى، أنّه بهذه الطريقة وحدها يصل الإنسان إلى الملء وإلى سبب وجوده.

لا يحتويّ سفر التكوين في أيّ من صيغتيه العبريّة واليونانيّة على العبارة **حكمة** (**حُكْمَاه** في العبريّة، و*sophia* في اليونانيّة). وبخلاف الكتب النبويّة والمزامير لا يتضمّن كتاب التكوين عناصر حكميّة واضحة في مفرداته.[١٦] يبرز نشيد حك ١٠: ١-٢١ حضور المدرسة الحكميّة الخفيّ في الرواية الكبرى لكتاب الشريعة الأوّل، ويجعل من سفر التكوين كتابًا يتحدّث عن تاريخ البشرية كلّها. وبفضل نشيد الحكمة تتّخذ روايات التكوين لونًا تعليميًا وتربويًا قويًّا يعلّم أسرار الحياة.

من بين التقاليد الأدبيّة العبريّة التي تعود إلى تلك الفترة يظهر نصّ حك ١٠: ١-٢١ كمدراش مختصر، أي تفسير ربانيّ لنصّ بيبليّ. ولكن إذا أخذنا في الاعتبار أنّ المدراش إنّما "هو أسلوب، ومنهج لقراءة النصوص الكتابيّة"[١٧] وبحثنا عن فنّ أدبيّ مناسب لهذا المدراش في الأدب الهلينستيّ يكون باستطاعتنا أن نؤكّد أنّنا بالأحرى أمام خطاب بيانيّ (*logos epideiktikos* في اليونانيّة)، لا أمام خطاب حثيّ (*logos*

[١٦] هذا لا ينفي أنّ سفر التكوين يتضمّن في نظرته إلى العالم ولاسيما في طريقته لسرده الروائي، تأثيرًا قويًا من الفكر الحكميّ اليهـــوديّ. فلنأخذ في عين الاعتبار، مثلاً، الأجوبة علىأسرار الحياة التي تقدّمها روايتا الخلق وقصّة المردة ورواية برج بابل. فلنتذكّر أيضًا القالب الأدبيّ (Leitmotiv) الحكميّ البحث عن الشيء وإيجاد الشيء الذي يتكرر في كل السفر وخصوصًا في رواية يوسف.

[١٧] DORÉ, D., **Sagesse**, p. 12.

*protreptikos* في اليونانيّة). فكلّ الشخصيات في النصّ يشار إليها في الغائب، ولا نجد أفعال الأمر أو النهي. أمامنا رواية توجز وتحدّد عملاً أدبيًا مطوّلاً لكي تكون مدخلاً للمبتدئين، ومرشدًا للمتقدّمين. هذه هي وظيفة الفنّ الأدبيّ الهلنستيّ المعروف بـــ التلخيص (*epitome*)، ونجد مثاله الأبرز والأكثر أهمية في **التعاليم السيّديّة** (*Kyriai Doxai*) لأبيقورس. يقدّم التلخيص للقارئ مختارات دقيقة من أهمّ التعاليم التي تعود إلى معتقد من المعتقدات. وهذا ما يقدّمه لنا نشيد حك ١٠[١٨].

أمّا العبر التي ترد في الغائب: "افتدَت الحكمة خدّامها من أتعابهم" (١٠: ٩)، "التقوى أقدر من كلّ شيء" (١٠: ١٢)، "فتحت الحكمة أفواه الخُرْس وأوضحت ألسنة الأطفال" (١٠: ٢١) فهي أقوال تمثيلية تعكس وتختصر مضمون مدرسة فلسفيّة ما أو معتقد ما. يحمل هذا النوع من العبارات دليلاً واضحًا على وجود الفنّ الأدبيّ المعروف بـــ **التلخيص**.

**خاتمة**

يريد نشيد السيّدة حكمة المدبّرة أن يشدّد على الدور البارز للحكمة في حياة كلّ البشر. لهذا يستعين بالتقليد الدينيّ اليهوديّ الذي أظهر على مرّ تاريخه أن الحكمة ترافقه بشخص آبائه وأبراره. ويشكّل هذا التاريخ نموذجًا للتشديد على قيمة الحكمة ولكشفها للثقافة الهلنستيّة العظيمة في الاسكندرية. فنرى سليمان المهتمّ بأبناء مملكته المشتتين يقدّم النصائح لمن يحكمهم الآن ويدلّ شعبه على الطريق الذي ينبغي اتباعه بعيدًا عن الضلال الموجود في كثير من المعتقدات الهلنستيّة. يدلّهم سليمان على طريق الحكمة المعلنة في الشريعة، ذلك لأنّ هذه الشريعة وحدها تقدر أن توحّد بين كلّ الشعوب لكي يعبدوا في شركة واحدة الإله الواحد والحقّ.

[١٨] حول الفن الأدبيّ التلخيص أنظر BETZ, H.D., **Studien**, 12-14; BERGER, K., **Gattungen**, 1233 y 1280.

**نشيد حكمة سليمان وقراءته لسرد التكوين**

ترجمة لحكمة ١٠: ١-١٤ من السبعينيّة

[١]هي التي حَمَت أول من جُبل، أبا العالم، الذي خُلق وحيدًا،
ورفعتْه من زلّته
[٢]وأعطتْه قوةً ليضبط كلّ شيء.

[٣]ولما ارتدّ عنها الظالم في غضبه،
هلك في حنقه الذي به قتل أخاه.

[٤]والأرض التي غمّرها الطوفان بسببه، عادت الحكمةُ فخلّصتْها،
بحيثُ أنّها قادت البارّ بخشب حقير.

[٥]ولما أجمعت الأممُ على عمل الشرّ فتبلبل لسانهم معًا،
فكانت هي أيضًا مَن عرفَت البار وصانتْه بلا عيب أمام الله
وحفظته قويًا على حنانه تجاه ولده.

[٦]وهي التي افتدَت بارًّا لما هلك الكافرون
وكان هاربًا من نار هابطة على المدن الخمس
[٧]وكشهادة على الشر بقيت إلى الآن أرضٌ مقفرة يسطع منها دخان
ونباتٌ يثمر ثمرًا لا ينضج في أوانه،
وكتذكار لنفس لم تؤمن بقي عمود ملحٍ .

[٨]والذين حادوا عن الحكمة

لم يقتصر ضررهم على عدم معرفة الخير،
لكنّهم تركوا في الحياة ذكرًا للحماقة
حتى لا يستطيعون إخفاء عثراتهم.
[٩]لكنّ الحكمة افتدَت خدّامها من أتعابهم.

[١٠]وهي التي هدَت بارًا هاربًا من غضب أخيه سبلا مستقيمةً،
وأرَته ملكوت الله، وآتته معرفة القديسين،
وأنجحته في مشقاته وأثمرت أتعابَه.
[١١]وعندما طمع مضايقوه، وقفَت إلى جانبه فأغنتْه
[١٢]وحمَتْه من الأعداء وأيقنت به من الكامنين
وحكمت له في قتال شديد
لكي يعلم أنّ التقوى أقدر من كلّ شيء.

[١٣]وهي التي لم تترك البار الذي باعوه،
بل افتدتْه من الخطيئة [١٤]ونزلت معه في الجبّ.
و لم تفارقه في القيود
حتى أتتْه بصولجان المُلك وبسلطان على المستبدّين به.
فكذّبت الذين اتهموه زورًا،
وآتتْه مجدًا أبديًا.

## المراجع


Berger, K., Hellenistische Gattungen im Neuen Testament, in: **ANRW** II.25.2, 1031-1432.

Betz, H.D., **Studien zur Bergpredigt**, Tübingen, 1985.

Cazeaux. J., **Filón de Alejandría**. De la gramática a la mística (DtB 9), Estella, 1984.

Doré, D., **Le livre de la Sagesse de Salomon** (C.E. 113), Paris, 2000.

Gilbert, M., La relecture de Genese 1 a 3 dans le Livre de la Sagesse. In: Dereusseaux, L. (Ed.), **La Creation dans l'Orient ancien**. Congres de l'ACFEB (Lectio Divina 127), Paris, 1987, 323-344.

Harrison, R.K., **Introduction to the Old Testament**. With a comprehensive review of Old Testament studies and a special supplement on the Apocrypha, Grand Rapids (Michigan), 1979, 1221-1230.

Murphy, R.E., The Personification of Wisdom, in: Day, J. / Gordon, P., **Wisdom in Ancient Israel**. Essays in honour of J.A. Emerton, Cambridge, 1995, 222-233.

Schroer, S., Das Buch der Weisheit, in: Zenger, E. et all., **Einleitung in das Alte Testament**, Stuttgart – Berlin – Köln, $^{2}$1995, 277- 284.

Volgger, D., Die Adressaten des Weisheitsbuches, in: **Biblica 82** (2001), 153-207.

Wilckens / Fohrer, art.: *sophia ktl.*, in: Kittel, G. / Friedrich, G., **ThDNT VII**, 1983, 465-528.

طرزي، بولس، **مدخل إلى العهد القديم. المزامير والحكمة. الجزء الثالث**، بيروت، ١٩٩٩.